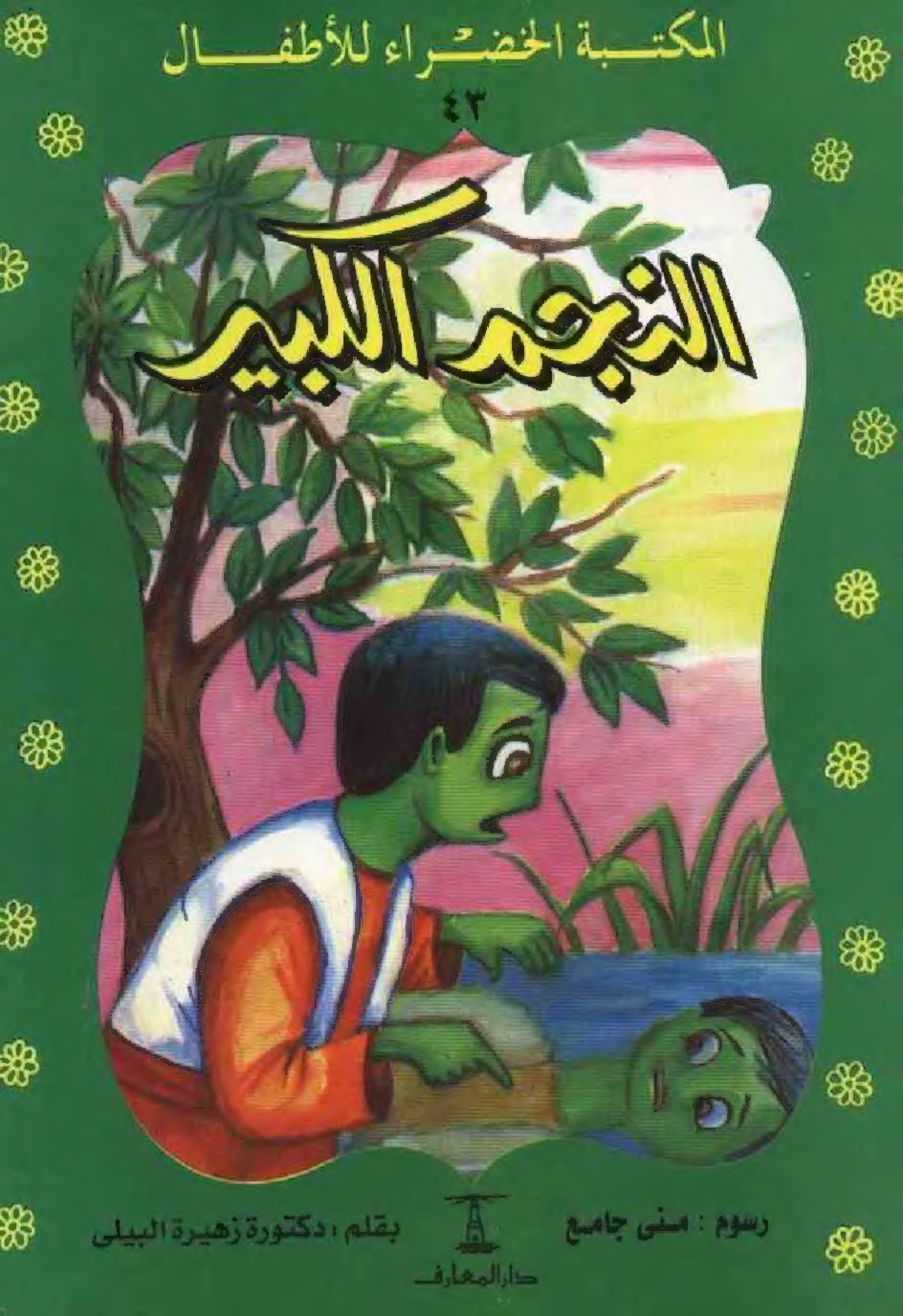
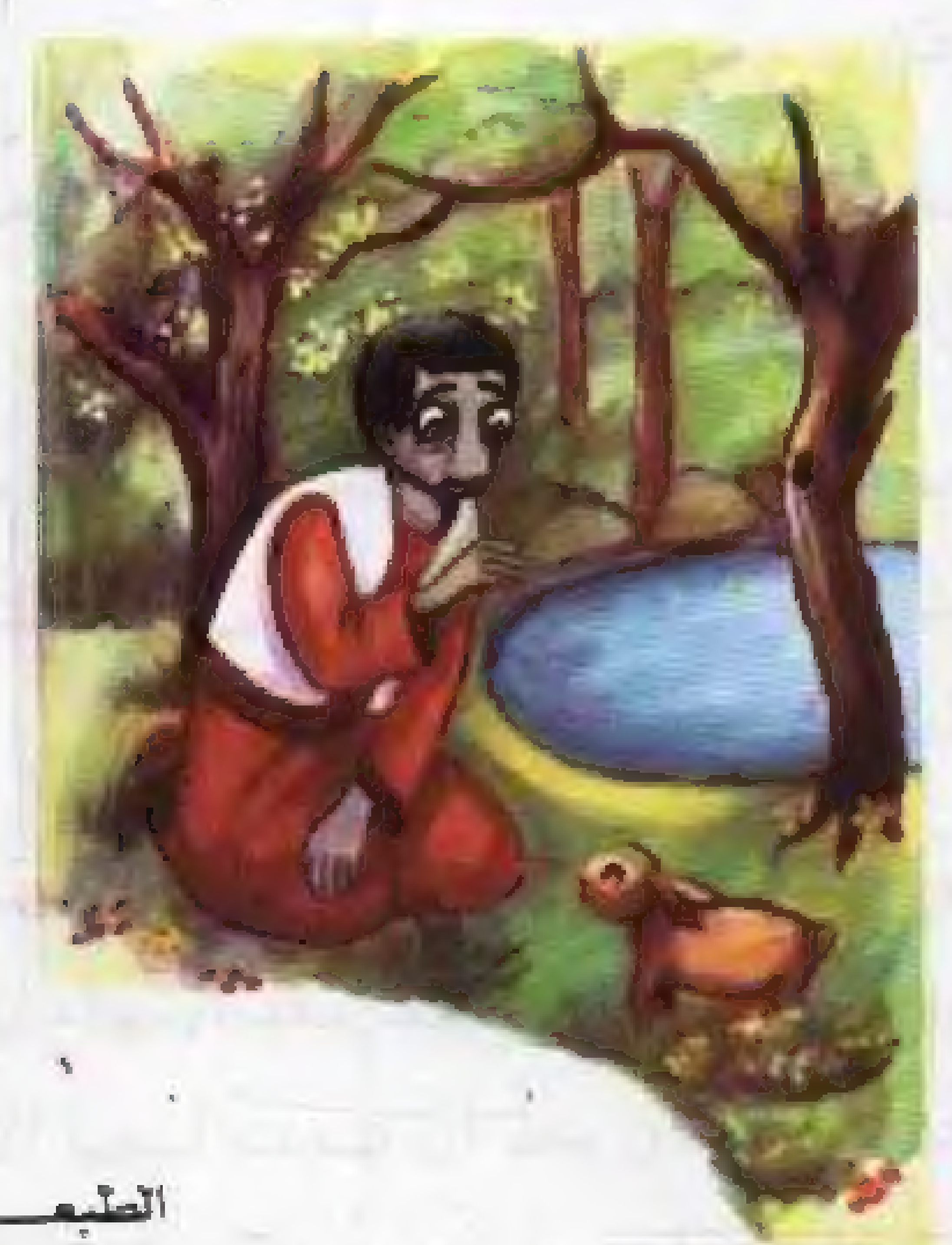


المكتبة الخضراء للأطفال
٤٣
النجم الكبير
رسوم : منى جامع
بقلم : دكتورة زهيرة البيلى
دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال







الطبعة الرابعة

بقلم: دكتورة زهيرة البيلى

رسوم: منى جامع



دار المعارف

فى أحدِ أيام فَصل الشِّتاءِ، كَانَ الجوُّ شديدَ البرودةِ إلى دَرجــة أن حَيوانَاتِ الغَابَــةِ أخَـذتْ تبحـثُ لنفسِـهَا عـن مكـان دافـئٍ تَختبئُ فيه.

وَسَطِ البردِ القَارص مَشَى الثَّعلب الَّذِى كَان يُعـانِى مِـن العَـرج البَسِيطِ وَسَط العُشبِ ليحتَمِي مِن الرِّياح العَاصِفةِ، فأخفى ذَيلَــهُ بَينَ سَاقيه وأخذَ يئن ويَقول: هَذِهِ لَيلةٌ باردةٌ لا مفر مِن الجلِيدِ الَّذِى يُغطى الأرض.

فى الوقتِ نَفسه زقزقت العَصافيرُ الخضراء الصَّغِـيرة قَائلَــةً: لَقَد مَاتت الأرضُ العَجُوزُ والتفتْ بثَوبهَا الأبيض.

لَكِن اليمَام لَم يعجِبْهُ هَذا الحــوار المتشـائم عَـن مَـوتِ الأرض بسببِ البَردِ الشَّدِيد فَرد قَـائلاً: إنَّ الأرضَ لم تمتْ، إنـه يـوم عُرسَها وهى تَرتدِى ثوبَ الزفافِ الأبيض.

وَسط هَذَا الجـوِّ البَـارِدِ الغَريـب سَـارَ أحـدُ الحطَّـابين برفقـةِ زَميل لَهُ فى طَريق العَودةِ إلى منزلِهما بعد انتهاء يَومٍ طويل من العملِ الشَّاق، أخذَا يَضحكان بعد أنْ بَـدتْ لهمـا الأَرضُ كأنَّــها وردةً كَبـيرةَ مـنَ الفضـةِ وأصبـحَ القَمـرُ مِثـل وردةٍ كَبــيرة مــن الذَّهَبِ. لَكِن بعد قَلِيل وفَجأَةً لمعَ فِــى السَّماء نجـمٌ كَبـيرٌ وسـطَ الظَّلام، إنسابَ بذيل براق طويل، ثُمَّ سَقطَ فى مكانٍ قَريــبٍ مـن أشجار الصَّفْصَافِ عِندَ أحدِ المرَاعِى الواسعة.



ومن شِدةِ الدَّهشةِ صَرخَ الحطابُ قَائلاً: مَا هَـذا؟! لابـد إنـها حقيبة مليئة بالذَّهبِ، وبالفعل اندفعَ الحطَّابـان بسـرعةٍ بحثًا عن هَذَا الذَّهبِ، وعِنـدَ أشجارِ الصَّفصَاف وجـدا شـيئًا مُذهبًا لامعًا علي الأرض. فإذا بـه معطفًا مُرصعًـا بنجـوم مـن الذَّهـبِ، وعِندمَا فَتحِ الرجلان المعطفَ لم يجـدا بداخلـه الكـنزَ المُنتظـرِ، ولَكِن كَانتْ المفاجأةُ، إذ وجدا طفـلاً جَميـلاً نَائمًا فقـال الأولُ: يـا لهـا مـن نهايـةٍ مُؤسـفةٍ لآمالنـا وأحلامِنَـا، فمـا فَـائدة هَـذَا الطّفل؟! لنتركه كما هو ونُكمل طريقنا إلى البيـتِ، إنَّنـا فقـراءُ ولدينا ما يَكفى مـن الأبنـاءِ لإطعامِـهم. وَلِكـن ردَّ عليـه زَميلـه قائلا: هَل مِن المعقول أن نتركَ الطفل يَموتُ من الـبردِ، حَقِيقـة أننى أشدُّ فقرًا منك ولدى عدد أكبر من الأطفال، لكننـى سوف أحمله إلى زوجتى حَتّى نعتنى بهِ.

بحنان بَالغ حمل الحطَّابُ الطفل الصغـيرَ بَعـد أن لفـه جيـدًا داخلَ المعطفِ، حَتَّى يحميه من الـبرد. أخـذَ يضمـه إلى صـدرهِ. نَزلَ الرجلان الربوةَ العَاليةَ فى طَريقهمَا إلى القريـةِ، وتَعجـبَ الحطَّـابُ مـن تَصـرف زَميلـه ورقـة قلبــهِ المرهــف، وعندمــا وصل الرجلان، قَالَ الحطَّـابُ الأولُ لصديقـهِ: بَمـا أنـك أخـذت الطفل، أعطني المعطفَ، هَكذا نُصبح مُتساويين. لَكِـن الحطَّـابَ رَدَّ عليه قَائلا: لا، إن المعطفَ ملـك للطفـل الصغـيرِ، لـذا فـهو ليس من حَقِنا.



عِندمَا فتحتْ زوجةُ الحطَّابِ البابَ ورأتْ زوجَها الَّذِى عَادَ إليها سَالمًا، أخذتْ تَشكرُ الله عَلَى نِعمته، ثم سألت عن هذا الشيء الَّذى يَحمله فوقَ ظهره. فأسرعَ الحطابُ بالقول: لقد وجدت شيئا فى الغَابةِ فأحضرتُه لك لتتولى رعايته.

وخوفًا من ردود فعل زَوجته لم يَتحرك الحطَّابُ من فوق عَتبةِ البابِ. فَسألته الزوجةُ: مَا هَذا الشيءُ؟! أرنى مَاذا أحضرتَ لنا؟! البيتُ خالٍ من كل شيءٍ، والأولاد فى انتظار الطَّعام.

لكن عِندمَا أزاحَ الحَطَّابُ طَرفَ المعطفِ لمحتْ الزَّوجةُ طفلاً صَغيرًا يَنامُ فى سلام. فأخذتْ تُردد: مَا هذا يا رجل؟! إن لدينا ما يكفى من الأولاد، وما أدراك إنه سوف يجلب لنا الحظ؟! وكيف لنا أنْ نسهرَ عَلَى تَربيتِهِ؟!

ثَارتْ الزّوجةُ عَلَى زَوجِهَا الَّذِى أجابَ عَلَى الفَور: لا.. إنه طفل جَاءَ به النَّجمُ الكبير من السَّماءِ.. وأخذَ الحطَّابُ يَحكى لِزوجتِه مَا حدث، وكيف تم العُثورُ عَلَى هَذَا الطفل البرىء. فَكانَ مِن الصَّعبِ عَلَى المرأةِ أنْ تُدرك حَقيقةَ الأمر أو أنْ تَهدأ. وأخذتْ تَسخرَ مِن زَوجِهَا، ثُمَّ قَالتْ لَهُ بغضبٍ: إنَّ أطفالنا لا يَجدون قطعةً واحدةً مِن الخبز، فَكيفَ نُطعمُ طفلَ الآخرين؟! أجَابَها الزّوجُ: إن الله وحده هُوَ الَّذى يُطعمُ كُلَّ

المخلُوقاتِ، هُوَ الَّذِى يَبعثُ بالطعام لكافةِ المخلوقاتِ، العَصَافِيرُ والطيـورُ وسَائر الحيوانـات. هُنَـا سَألته الزَوَّجـةُ: ألا تمـوتُ العَصافير من الجوعِ فى فصل الشِّتَاءِ؟

لم ينطقُ الرجل بحـرفٍ واحـدٍ ولَـمْ يتَحـركْ مِـن فـوق عَتبـةِ البـابِ، لَكِـن عِندمَـا هبـتْ الريـاحُ العَاصِفـةُ لتملـئَ الحجـرةُ بـالصَّقِيع، تَراجعـتْ الزوجـةُ عَـن مَوقفِـهَا قَائلـةً: أليـس مـن الأفضل أَنْ تغلقَ هَـذا البـابَ؟ إننـى أشعر بالـبرد الشَّدِيدِ، رَدَّ عَليهَا الرجلُ قَائلاً: إنَّ المنزلَ الَّذِى يعيش فِيه قَلبٌ قـاسٍ لابـد أنْ يدَخلهُ الهواءُ الباردُ.

ودُونَ أنْ تَنطقَ الزوجةُ بحرفٍ واحـدٍ، اقـتربتْ مِـن المدفـأةِ، وبعد لحظةٍ إلتفتت إلى زَوجِهَا وقَـد امتـلأتْ عَيناهَـا بـالدّموع، فاقتربَ مِنها الزَّوجُ ليضعَ لهـا الطفـلَ بَـين ذِرَاعِيـهَا، وأخـذتْ الزوجـةُ تُقبلُ الطفل ثُمَّ وضعته فوقَ السـرير لينـامَ بـالقربِ من أصغر أطفالها.

فى صباح اليوم التَّالى وضعَ الحَطَّابُ المعطـفَ المرصـعَ بـالنجُومِ الذَّهبيـةِ فـى دولابٍ قَديـمٍ، بَينمَـا احتفظـتْ زَوجتُـهُ بـالقلادةِ المصنوعةِ من العَنبر الَّتِى كانَ يَرتديها الطفلُ فِى مكان أمين.

مَرِت الأيـامُ وتَربـى الطفـلُ ابـن النَّجِـم الكَبـير وسَـط أبنَــاءِ الحطَّـابِ، عَـاشَ فـى نفـس المكان حَيـثُ شَارِكَ بقيَــةَ الأوَلادِ ألعابَهِم وحَياتهم. وعـام بعـد عـامٍ ازدادَ الطفـل الصغِيرُ صحـة

وجمالاً، كَانَ شَعرُه الأسوُد الفاحم شديدَ اللمعان، أمَّا بَشرتُه فكانتْ فى لون العاج، كما بدتْ شفتاهُ كأنهمَا ورقتان لوردةٍ حمراءَ يانعةٍ، وكانَتْ عَيْناه فِى لون البنفسَج.

لَكِن مِن الغَريبِ أنَّ هذا الجمالَ الواضح تنَاقضَ تَمامًا مع صفاتِ الطفل الذِى أصَبحَ فِيمَا بعدُ يُعرفُ بالأنَانِيةِ وقسوةِ القلبِ، إذ بَدأ يحتقرَ أبناءَ الحطَّابِ وكذلكَ باقى الأطفال فى القريةِ، اعتبرِ نَفسه ابن النَّجمِ الكبيرِ، ولَمْ يَترددْ فى تنصيبِ نَفسه سَيدًا عَلى الجميع.

عَاشَ الحَطَّابُ وزوجتُهُ فى حزن شديدٍ بسبب تصرفاتِ ابن النَّجم وكَانا يُحاولان دائمًا إصلاح سُلوكِهَ قَائلين لَهُ: لَقَدْ عَكفنَا عَلَى تَربيتكَ عَلى أحسن وجهٍ.. فلماذَا هَذِه القسوة تجاهَ الفقراءِ والمساكين؟! كما حاولَ الحطَّابُ أنْ يُلقنَه مِرارًا دُروسًا فى الحبِ حَتَّى يتعلمَ الرَّحمةَ عَلَى المخلوقاتِ الَّتى يَزخرُ بهَا الكونُ. كَانَ يَقولُ لَهُ: دع العصافيرَ تُحلقَ وسطَ الغابَةِ فِى حريةٍ وسلامٍ. فمن تكون أنتَ لتجلبَ التَّعاسةَ والألم عَلَى الآخرينَ؟ لَكِن ابْنُ النَّجمِ لَمْ يَهتمْ بكل هذه الدروسِ الجمِيلة، بل أخَذَ يسخرُ مِن كلامَ الحطَّابِ.

وفِى أحدِ الأيام مرتْ بالقريةِ امرأةٌ عَجوزٌ بائسةٌ، من شدةِ التَّعبِ جَلستْ تَحتَ إحدى الأشجار حَتَّى تَسترد أنفاسَهَا. لَكِن بمُجردِ أنْ لمحَهَا ابن النَّجم الكَبير حتى قَالَ لأصدقائِه:



أترون؟؟! تَحت هذه الشَّجرةِ الجمِيلةِ بفَرُوعِها الخضراءِ اللامعة، شَحاذة دَميمةٌ، هيَّا لنطردهَا مِن هُنَاك.

بعد أنْ اقتربَ منها ابن النَّجم، أخَذ يلقي عليهَا الحجَارةَ، فخَافت المرأةُ العجوزُ وأخذتْ تنظرْ إليه بخوفٍ شديدٍ، لكن دون أن يغيبَ عن عينيها لحظةَ. ولأن الحطَّابَ كان يقومُ بعملهِ في ذَلكَ اليوم عِندَ الغَابةِ، لمحَ ابن النَّجم فجرى إليه مُسرعًا لينقذَ المرأة المسكينة منه وأخَذَ يقولَ لَهُ: مَاذا فعلتْ لك هذه المرأةُ لتُعَاملها بهذِه القسوة؟

ومِن شِدة الغضبِ إزداد وجه الغُلام احمرارًا، وأخذَ يَدقُ الأرضَ بقدميه ويقولُ: من تكون أنتَ حَتَّى تُؤنِّبني؟ لستُ ابنك حَتّى أطِيعَكَ، أجابَ الحطَّابُ: أنتَ على حق.. لكِنني عَطِفتُ عَلِيكَ عِندمَا وجدتُك وحِيدًا وسطَ الغابةِ.

عِندما سمعت المرأةُ العجوزُ هذه الكلمات، صرخت ثُمَّ وقعتْ على الأرض مَغشيًّا عليها. فَحملَها الحطابُ إلى البيتِ لتعتني بها زَوجته ولتقدمَ لها الطّعامَ والشَّراب.

لمْ تكن المرأةُ تُريدُ شيئًا مِن كُلِّ هَذا، لَكِنهَا أخذتْ تسألُ الحطَّاب: لقد سمعتُك تَقولُ إنك وجدت الطفل وسطَ الغابةِ، فهَل كَان هذا مُنذ عشرِ سنواتٍ؟ أجابَها الحطَّابُ: نعَم.. لقَد وجدتُه وسط الغابةِ، فردت المرأةُ المسكينةُ: هَلْ كَانتْ مَعهُ عَلاماتٌ مميزةٌ ؟ ألم يكن يَرتدى قلادة من العنبر؟ ألمِ يكن



ملفوفًا داخلَ معطفٍ مطرزٍ بنجوم من الذَّهبِ؟ قَالَ لهَا الحَطَّابُ عَلى الفور: نَعَم. هـذا كـلّ مـا حـدث. وأسـرع الرجـلُ ليخـرجَ المعطفَ من الدولاب القديـم ليقدمَـه للمـرأةِ التّـى انـهمرتْ فـى البكـاءِ وبمجـرد أن رأت المعطـف أخـذتْ تقـول بفرحـةٍ: إنـه ابنى. لقد ضَاعَ مِنى وسطَ الغابةِ. أرجُوكَ نَادى عليه فأنا أريده الآن بعد أنْ بحثتُ عَنه طويلا.

خَرجَ الحَطَّابُ وزوجتُه ليناديا على ابن النَّجـم الكبـير وقـالا لـهُ: تَعـال إلى البيـتِ إنَّ والدتـك فـى انتظـارك. بعـد أن دخـل الغلامُ بسرعةٍ وهو فرحان. ضحك عِندمـا رأى المـرأة التّـى فـى انتظاره فَقَال: لَكِن. أين أمى؟! إننـى لا أرى سِوى هـذه المـرأة العَجوز. فقالت له المرأة: إننى أمك.. رد عَليهَا الغُـلامُ بغضـبٍ شديدٍ: هل جننـتِ؟! كيـف تقولـين ذلـك؟! إنَّنـى ابـن النَّجـم الكَبير، أما أنتِ فمجرد امرأة دَمِيمةٍ مُهلهلةِ الثيـابِ، لا أريـدُ أنْ أرى وجهك. أخـذتْ المـرأة المسكينة تـردد: لا.. لا.. أنـت طفلى الصغير. لقد ولدت وسط الغابة.

انهارت المرأة جاثية على رُكبتيـها تَتوسـل إليـه ليسمعها. وأخذتْ تحكى لـه حقِيقـة مـا حـدث: لقـد خَطفك اللصوصُ، لكننى تعرفتَ عليك الآن. هذه القلادة. وهـذا المَعطفُ المرصعُ بالنّجوم. تعال إلىّ لقد بحثتُ عَنك طويلا، إننى فى حاجـةٍ إلى حُبك الآن.

لَكِن الغلام بقي جَامدًا فى مكانِه بلا حراك، لا ينصُت لِبكاء المرأةِ. وعِندما تكلم أخيرًا قال بصوتٍ جافٍ: إذا كنت حَقًا أمى فقد كَان من الأفضل ألا تأتى إلى هُنا. فَأنا أشعرُ بالخزى أمامَ الجميع بعد أن كُنتُ أظَن أننى ابن النَّجمِ الكبير، اذهبى.. أنا لا أريدُ أنْ أراكَ. قَالتْ المرأةُ بحزن بَالغٍ: قبل أن أذهب تعال لتُقبلنى. لقد قاسيت كثيرا من أجلكَ.. قَالَ الغلامُ: لا.. أهون على أن أقبلَ الحيةَ أوالضفدع السَّام.

نهضت المرأةُ بإعياءٍ. واتجهتْ فى اتجاه الغابةِ وهى تبكى بمرارةٍ. وعِندَما رآها ابن النجم وهى تبتعدُ، شعر بالارتياحِ ثُمَّ أخَذَ يلعبَ مع أصدقائه، وَلكن عِندَما رآه أصحَابُه أخذوا يقولونِ لهُ: ابتعدْ عنا، إننا لا نريدُ أنْ نلعبَ معكَ. لقد أصبحت حقا مثل الضفدع السام وأشد قُبحا من الحيةِ. وقَامَ أصْدقاؤهُ بطردِه بَعيدًا عَن الحديقةِ. فأصيبَ ابن النَّجمِ بالدِّهشة من أمر أصحابه وأخذ يَسألُ نفسه: لماذا يقولون ذَلكَ؟! سأذهبُ إلى نبعِ الماءِ لأرى وأشاهد جَمالى وحُسنى فوق صفحةِ الماءِ.

عِندما وصلَ الغلامُ إلى نبع الماء. إذا به يرى وجهه قَدْ تحولَ مثل الضِّفدع وأصبحَ جَسدُه مِثلَ الحيةِ. فانتابه الخوفُ وألقى بنفسِه عَلَى الأرض وسطَ الحشائش، وأخَذَ يَبكى بصوتٍ عال ويقولُ: لَقدْ أنكرتُ أمى وطَردتها. إننى حَقا أنانى وقاسى



القلب. سوف أذهبُ للبحث عنها فِى كُلِّ مكان، وجاءتْ ابنةُ الحطَّابِ تَجرى إليهِ، ووضعَتْ يدهَا عَلى كتفِه وقالتْ لَهُ: لا تحزنْ لأنك فقدت شكلكَ الجَميل. ابق معنا ولن يسخر منك أحد. رد عليها قائلا: لا.. لقد كنتُ شديد القَسوةِ مَعَ أمِى. وعَلىَّ أنْ أذهبَ للبحثِ عنها الآن حتَّى تغفر لى وتصفح عنى.

أخَذَ الغُلامُ يجرى فى اتجاهِ الغَابةِ وهَوُ يُنادى عَلى أمّه لكن دُون أنْ يَتلقى أية إجابة: أخذَ يُنادى عليها طِيلةَ اليومِ حتَّى غَابتْ الشمسُ. فتمدد وسط الحشائش من شدة التَّعبِ. وأخذتْ العصَافِيرُ تُحلق مِن حولهِ فِى فَزعٍ، ولم يَبقَ بجانبه إلا الضفادعُ والثعابينُ.

اسْتيقظ الغُلامُ عِند الفجر. ثُمَّ استأنفَ طريقَهُ وسط الغابةِ وهْو مازال يبكى بمرارةٍ. وأخذَ يسألُ كلَّ مَن يقابلُه عَن أمه. فَسأل الضفدعَ: أنت تتوغل بعيدًا تحت الأرض، ألم تَعثر عَلَى أمِى؟ رد عليه الضفدع قائلا: لكنك فى أحد الأيام فقأت عينى. فكيفَ أرى طَريقى؟ ثُم سَأل العَصفور الأخضر: إنك تُحلق بَعيدًا فوق الأشجار. ألم تر أمّى؟ فقال لهُ العصفوُر: لقدْ كسرتَ أجنحتِى لِكى تُسلى نَفسك، فكيفَ أطيرُ إذن؟ فسَألَ السنجابَ: أين أمّى؟ أجابَ السنجابُ: لَقد قَتلتَ أمى. فهلْ تُريدُ أنْ تقتلَ أمُّك أيضًا؟

أنخرط ابن النجم الكبير طويلاً فى البكاءِ طالبًا من مخلوقات الله أن تُسامحهُ، وفى اليوم الثالث وصلَ الغُلامُ إلى آخر الغابةِ فنزل السهل. وعندمَا كان يَمر بكل قريةٍ. كان الأطفالُ يسَخرونَ منهُ. ورفض الفلاحُون أن يسَمحوا لَهُ بالنَّومِ حتَّى فى حظائر الحيواناتِ. وابتعد عنه النَّاسُ بلا رحمة.

لم يعثرْ الغُلامُ علَى أمه العجوز، وهام على وجهِ الأرض ثلاثَ سنوات دُونَ أنْ تُفارقَ خيالَهُ. ثلاث سنواتٍ لَمْ يعرفْ خِلالهَا طعمَ الحُب أو الرحمةِ، عاش وسطَ عالمٍ خلقه لنفسه بسبب أنانيتِه وغُرورهِ.

وفى مساءِ أحدِ الأيام وصلَ الغُلامُ إلى باب مَدينةٍ كبيرة تحيطُ بها الأسوارُ العاليةُ بعد أنْ أنهكهُ التَّعبُ والإعياءُ حَاول اجْتياز هذا الباب. لكِن الحرس المُسلحَ مَنعُوه وقالوا لهُ بجفاءٍ: لماذا جئت إلى هُنَا؟ ومَاذا تُريدُ؟ أجَاب الغُلامُ: إننى أبحثُ عَن أمى. أتوسلُ إليكم اسمحوا لى بالدخول. فربما أجدها فى هذه المدينةِ. ردَّ عليه أحدُ الحرس قائلا: فى الحقيقة أن أمك لن تسعد بلقائك لأنك أكثر قُبحًا من الضفدعِ. اذهبْ بعيدا إن أمَّك لا تقيم فى هذه المدينة. وقَال لهُ حارسٌ آخَر كان يَمسكُ بيده راية صفراء: من هى أمك؟ ولماذا تبحثُ عنها؟ أجاب الغُلامُ: أمى عجوزٌ فقيرةٌ، لقَد عاملتُها بقسوةٍ وأتوسلُ إليكم أريدُها أنْ تَصفح عنى. لكن الحرس رفضوا السَّمَاح لهُ بالدّخول



وأبعدوه عن طَريقهم. عِندما همّ الغُلامُ بالابتعادِ. أوقفَهُ أحدُ الحرس وقَال لأصدقائِهِ وهَو يضحكُ: ما رأيكم؟ لنبيع هَذَا الغُلام كعبدٍ وبثمنِه نَقضي لَيلةً سَعِيدةً.

سَمع هَذَا الحديث رَجلٌ عجوز كان مارا بالصدفة فقال لهم: هل يمكنُ أنْ أشترى هَذَا الغُلام؟ هَاهِي النُقودُ؟ بَعد أن دَفَعَ الرجلُ المبلغَ. أخذَ ابن النجم من يده، ودَخل به المدينةَ؟ وبعد أن سارا وسط الشوارعِ والأزقةِ وصلا إلى بابٍ خَشبى مُغطى بأوراق الشَّجر. وفَتَحَ الرجلُ العجوزُ البابَ ونَزلا خمسَ درجاتٍ مَصنوعةٍ من البرُونز، فإذا بهمَا فجأةً وسطَ حديقةٍ كبيرةٍ، ثم أخرجَ الرَّجلُ من جيبه منديلاً مصنوعًا من الحرير. لفه حول عينى الغُلامِ حتَّى لا يَرى الطريقَ الَّذى سَوفَ يسيران فيه.

عِندمَا رفَع الغُلامُ المنديلَ عن عَينه إذا بهِ فى زنزانة لا يضيئُهَا إلا مصباحٌ خَافتٌ ووَضع الرجل العجوزُ أمام الغُلامِ قطعًا من الخبز العَفن وقَال له: هيَّا.. تَناول طعامَك. ثُمَّ وضَعَ أمامَه بعضَ الماءِ المالِح وقَالَ: هيَّا.. اشربْ. بَعدَ أنْ أكلَ الغُلامُ وَشربَ قَيّده الرجلُ بالسلاسل الحدِيديةِ وخَرجَ وتَركَهُ بمفردِهِ بَعدَ أنْ أحكم غلق البابِ.

فى صباحِ اليوم التَّالى جَاء الرجلُ العَجوزُ الَّذِى كَانَ سَاحرًا مَعروفًا وقَال لَهُ: فى هذه الغابة القريبة تُوجدُ ثَلاث قطعٍ من



الذَّهبِ، واحدة بيضاءُ والثانيةُ صفراءُ والثالثةُ حمراءُ. عَليك أنْ تحضرَ لى اليوم قطعةَ الذَّهب البيضاء. وإذا لم تـأت بـها سوفَ أقومُ بجلدِك مائةَ جَلـدةٍ. اذهب بِسرعةِ الآن وَسوفَ أنتظِرُكَ قَبل أن تغيبَ الشَّمسُ عِندَ باب الحدِيقةِ.

كـانت الغابـة جمِيلـةً سَـاحرةً تُحلِـق فيـها العصافـيرُ الملونـة. وتَزدهـرُ فِيـهَا الأزهـارُ برائحِتـهَا العطـرة. فَدخَـل الغُلام الغابة سَعِيدًا فرِحًا ليبحث عـن قطعـةِ الذهـبِ البيضـاءِ. لَكِن بعد عناءٍ طويل لَم يعثرْ عَلـى شىءٍ وضـاعَ مجـهوده بـدون جـدوى. وعِندَمـا قـاربت الشَّمسُ علـى المغِيـب اضطـر الغـلامُ للعودةِ. فأخذ يبكى طِيلة الطريق لأنه كان يعرفُ جيدًا المصير الّذِى فى انتظـاره. لكِـن عِندمـا وصـل إلى أطـرافِ الغابـةِ سـمعَ فجأةً صوتَ استغاثةٍ. فنسى ابن النجـم حُزنـه وجَـرى بسـرعةِ فـى اتجـاهِ الصَّوتِ. فـإذا بـه أمـامَ أرنـبٍ صَغِـير وقـعَ فـى فـخِ أحدِ الصيادين.

رَقَّ قلـبُ الغُـلام وبسـرِعةِ أخـذَ يُسَاعدُ الأرنـبَ حَتَّـى أطلـقَ سراحه. وقـال: حقِيقـةً إننـى مـن العَبيـدِ لكِننـى أسـتطيع أنْ أمنحَـكَ الحريـة. أجابـه الأرنـبُ الصغِـيرُ قـائلاً: لَقـد أطلقـت سَراحِى ماذا يُمكن أن أقدمَ لَكَ. قَالَ لهُ الغُلامُ: إننى أبحثُ عَـن قطعةٍ مـن الذَّهـبِ الأبيـض. وإذا لـمْ أحضرْهـا لسـيدى فَسَـوف أُضربُ بالسياط. فقَال الأرنبُ: تعـال معى. أنا أعرفُ مكانَها.

سار الغُلامُ خلفَ الأرنبِ وعنــد فتحــةٍ صغـيرةٍ وسطَ شَجرةٍ كَثيفةٍ لمحَ قطعة الذَّهبِ البيضــاءَ. وبفرحــةٍ كَبـيرةٍ أخـذَ الغُـلامُ قِطعةَ الذَّهبِ وقال للأرنبِ: لَقـد سَاعدتُكَ، وهَـا أنـتَ تُقـدمُ لى العَونَ.. إننى أشكرُكَ.

أخذَ الغُلامُ يَجـرى بسـرعةٍ صَوبَ المدِينـةِ، وقَبـل أنْ يَجتـاز البوابةَ الكبيرةَ وجدَ رجلاً عَجُوزًا يخفى وَجهه ويَمدُّ إليه يَـده ويَقولُ:

أعطنـى حَسـنةً لله، سـأمُوتُ جوعًـا. لَقَـدَ طَردونـى مـن هَـذِه المدِينةِ.. ارحمنى.

قَالَ لَهُ الغُلامُ: إننى من العَبيدِ. وليسَ مَعِــى إلا قِطعــةُ نُقـودٍ وَاحدةٍ، وإذا لَمْ أعطـها لسـيدى سَوفَ يضربنـى. لكِـن الرجـل العَجُوز أخــذَ يتوسـل إليـه حَتَّـى أعطَاهُ الغُـلام قِطعـةَ الذَّهـبِ البَيضاءِ.

وعِندمَا وَصلَ الغُلامُ إلى بيتِ السَّاحِر. فَتح لَهُ العَجُـوزُ البـاب وسَألَهُ علَى الفور: هل أحضرت قطعة الذهـبَ البيضـاء؟ أجـاب الغُـلامُ: ليسـت مَعِـى. فانهَالَ عليه السَّاحِرُ بالضَّربِ. ثُمَّ ألقـى بهِ داخلَ الحُجرةِ المظلِمةِ ووضَعَ أمَامَه إناءً فارغًا وقال: اشـربْ وتناول طَعامَكَ.



فى صَباحِ اليومِ التَّالى جاءَ الرجلُ العجُوزُ وقَالَ للغُـلامِ: إذا لم تحضرْ لى قَطِعةَ الذَّهبِ الصفراءِ سوف تبقـى عِنـدى عَبـدًا مَـدى الحياةِ، كَما سوف أجلدك ثلثمائة جلدةٍ.

لم يَكـنْ أمـام الغُـلام إلا أنْ يتَوجـه إلى الغَابـةِ ليَبحـث عَـن قطعـةِ الذَّهـبِ الصفـراء ولكـن بـدون فـائدة. مـن شـدة العَنـاء والتَّعـبِ جَلـسَ عَلـى الأرض وأخـذَ يبكـى عِندمـا سَـمعه صَدِيقُه الأرنـبُ الصغـيرُ سَألَه

لماذَا تَبكى ؟ هـل تَبحـثُ عَن شىءٍ ؟

أجابـه ابـن النجـم قـائلا: أبحـث عَـن قطعـةِ الذَّهـبِ الصفـراءِ. وإذا لم أجدْهَـا سَوف يُعـاقبُنى سـيدى بـالضَّربِ. قَالَ لَهُ الأرنـبُ: تعـال مَعِـى.

جـرى الصدِيقَـان عـبرَ الغَابـةِ الواسـعةِ حَتَّـى وصـلا إلى مُسـتنقع كبـير. لَمعـتْ فِـى قَاعــهِ قِطعــةَ الذَّهـبِ الصفـراء. فقـالَ الغُـلامُ للأرنـبِ:

كَمْ أشـكُركَ يـا صديقـى، هَـذِه هِـى المـرة الثانيـة الَّتـى تقدمُ لى فِيـها العَونَ والمسـاعدة. قـال الأرنـبُ وهُـوَ يَجـرى مـن الفرحِ: لَقَد كنـتُ عَطوفًـا مَعِـى.

أخذَ الغُلامُ قِطعةَ الذَّهبِ الصفراء وجرى بسرعةٍ إلى المدينةِ.

ولَكن عِندمَا لمحه الشحاذُ العجوزُ جَرى خَلفه وَركع علَى رُكبتيه وأخذَ يَقولُ لَهُ: أعطنى بعضَ النقودِ إننى أموت جوعًا. قَالَ له الغُلامُ: ليسَ مَعِى إلا قطعةُ الذَّهبِ الصفراء وإذا لَمْ أعطها لسيدى سوفَ أظلُ له عبدًا مدى الحياةِ.

لكِن الغُلامَ رقَّ لحاله فأعطاه قطعة الذّهب، وعِندما وصَل إلى بيتِ السَّاحِر العَجُوز بَادره بالسؤال عن قطعةِ الذَّهبِ. قَال الغُلامُ:

ليستْ معى قَطعةُ الذَّهبِ الصفراء، فانَهال عَليه السَّاحِرُ العجُوزُ بالضَّربِ ثُمَّ قيده بالسلاسلِ والأغلال.

وفى صباحِ اليوم التَالى طلَبَ السَّاحِرُ مِن الغُلام أنْ يَحضرَ لَهُ قِطعةَ الذَّهب الحمراء وإلا قَتله هذه المرة. سار الغُلامُ إلى الغابةِ بَحثًا عَن قطعةِ الذّهبِ الأخيرة، لكِن بدون فائدةٍ، فَجلسَ يَبكى حَتَّى جَاء إليه صَدِيقه الأرنب الّذِى قَاده مرة أخرى إلى مَغارةٍ مُظلمةٍ لمعتْ بداخِلها قطعة الذّهبِ الحمراء.

جـرى الغُـلامُ فـــى اتجـاه المدينـــة بعـد أنْ شَـكَرَ صَديقَـهُ الأرنـب عَلـى رقّـةِ مَشاعره. لكِنـه التقـى بالشَّحاذِ العجُــوز الّذى نَـادى عَليـه قَـائلاً:

أعطنـــى قطعـــةِ الذَّهــبِ الحمــراء وإلا مــت جوعَـا. وبـــلا تردد أعطاه الغُــلامُ قِطعـةَ الذَّهـبِ الحمـراء. وقَـال لَـهُ:

- إن مأسـاتك أكـبرُ مـن مُشـكلتى.

عِندمَـا اجتــازَ الغُــلامَ أبــوابَ المدِينـــةِ. تجمـــع حَولـــهُ الحــرسُ مِـن كُــلِّ جَـانبٍ وَقـالوا لَـــهُ: لقــد تحــول شـكلك وأصبحـتْ بـهيًّا سمـح الطلعـةِ! ثُـمَّ تَجمـعَ حَــوله الأهـــالى وسَمعهم يقولـون: لم نـرَ فـى حياتِنَـا مَـن هُـوَ أحســن منـك. فَقـالَ ابـنْ النجـم الكبـير لنفســهِ وهُــوَ يَبكــى: لابــدَّ إنـــهم يَسـخرونَ منـى.

تَزاحــم النَّــاسُ حــولَ الغُــلام الصَغــير حتَّـــى أنـــه ضَـــلَّ الطريـق، فوجـدَ نفسـه أمـام قَصـر الملـك. وإذا بالبـاب الكبـير يُفتـحُ فجــأةً. ووجَـد الــوزراء وكِبَــار القــوم فـى اسـتْقبالِه وقالوا لَـــهُ:

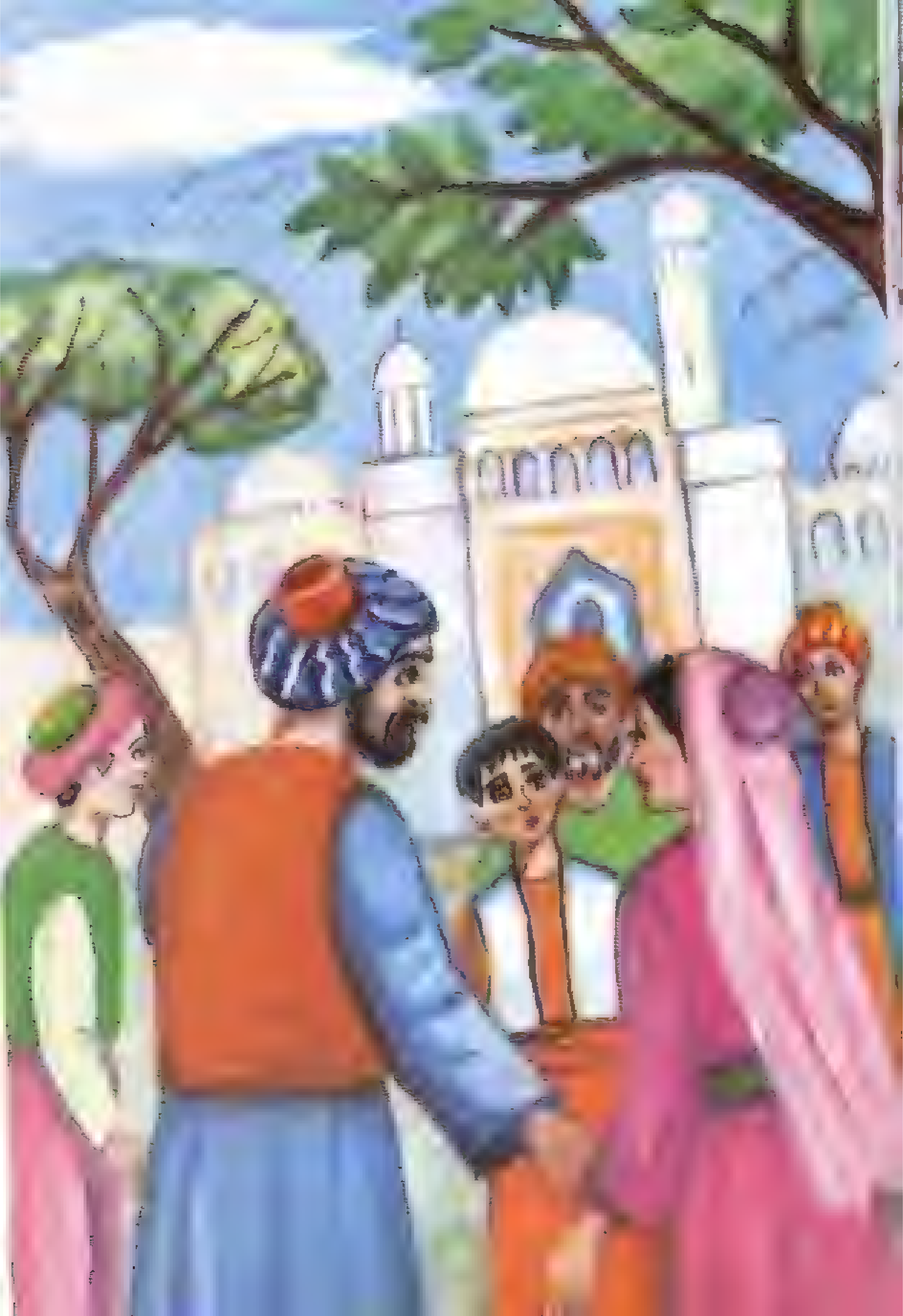
إنك الأمير الّــذِى كُنـا فـى انتظـارهِ. أنـت ابـنُ الملـكِ، فَقـالَ ابــنُ النجـم بدهشـةِ: لسـتُ ابـنَ الملـكِ، ولكِـن والدتـــى امــرأةٌ

فقـيرةٌ وأنتـم تَسـخرون منـــى. اقــتربَ منــه أحــدُ الحــراس وقَالَ لَهُ: كيـف يقـول سيدى الأمـيرُ ذلِـك.

وبعـد أنْ نَظـرَ الغُـلامُ إلى نفسِـه فـى المـرآةِ اكتشـفَ أنـه عـادَ إلى شـكله الأول، عـادتْ إليـه نَفسُ الصــورةِ الجميلــةِ الَّتِــى كَانَ عَليـها بعـد أنْ تحسـنتْ أخلاقُـه. فقَال لَـه الـوزراءُ: كنـا نَنتظرُ وصولَكَ مُنـذ زَمـن بعيـدٍ، لكـن الغُـلام قَالَ لـهم: إننـى لا أسـتحق كـلَّ هَـذَا الشـرفِ، لقـد أهنـتُ والدتـى الَّتِـى أتَـتْ بـى إلى هَـذِهِ الدُّنيـا. ولَـنْ أهـدأ حَتَّـــى أعــثرَ عليــها وأطلــب مِنها الصفـحَ والمغفـرةَ.

أثناء حديثه هذَا وقعتْ عَيْنا الغُلامِ عَلى الطريق الَّـذى يُوصـلُ إلى بَابِ المدينةِ، فلمَـحَ المـرأةَ العَجُـوز أمـه وبجَانبـها الشَّحَاذ العجوز الَّذى أعطاه قطعَ الذَّهبِ الثلاثةِ. فَصرخَ الغُلامُ مِـن شِـدةِ الفـرحِ. وجـرى إلى أمـهِ سَاجدًا عَلَـى رُكبَتيـه ليُقبـلَ قَدميــهَا ويَغسـلَهَا بدمــوعهِ قَائـلاً: لَقَد أنكرتُكِ عندما كَنتُ قَويا. فهل تقبلينى وأنا ضعيف. لقد حملت إليك الكراهية فَـهل تعطينــى الحب. لكن المرأة العجوز لَمْ تَنطقْ بحرفٍ واحـدٍ. فمـد الغُـلامُ يديه إلى الشَّحاذِ وقَال لَهُ: لقد أعطيتُكَ ثلاث قطعٍ مـن الذَّهـبِ. فاطلب من أمى أنْ تصفحَ عَنى. لَكِـن الشّحاذَ العجـوز لم ينطـقْ بحرفٍ واحدٍ.





أخذَ الغْلامُ يَبكــى مِـن جَديـدٍ ويَتوسـلُ ويقـولُ:

اغفـرى لى يـا أمّـى وإلا ســوف أعــود ثانيًــا إلى الغابــة، وضعـت المـرأةُ يدهَــا عَلَــى رأســهِ وقـالتْ لـه:

انــهضْ الآن . . ووَضَـع الرجــلُ العَجــوزُ يَـده عَلَــى رَأســه وقـال: انــهضْ . .

بعـد أن نـهضَ الغُـلامُ واقفًـا. نظـر إليــهما بدهشــةٍ، فـإذا به فجأةً أمـامَ ملــك وملكـةٍ. قَـالتْ لـه الملكـةُ: هـذا هـو والـدك الملك الّذى كَـانَ يبَحـثُ عَنـكَ بنفسـه.

فَقال الملـكُ: وَهـذِه هـى والدتـك الملكـة الّتـى غسلت قدميـها بدموعِكَ. لقـد بحثـت عَنـك طَويـلاً بنفسـها.

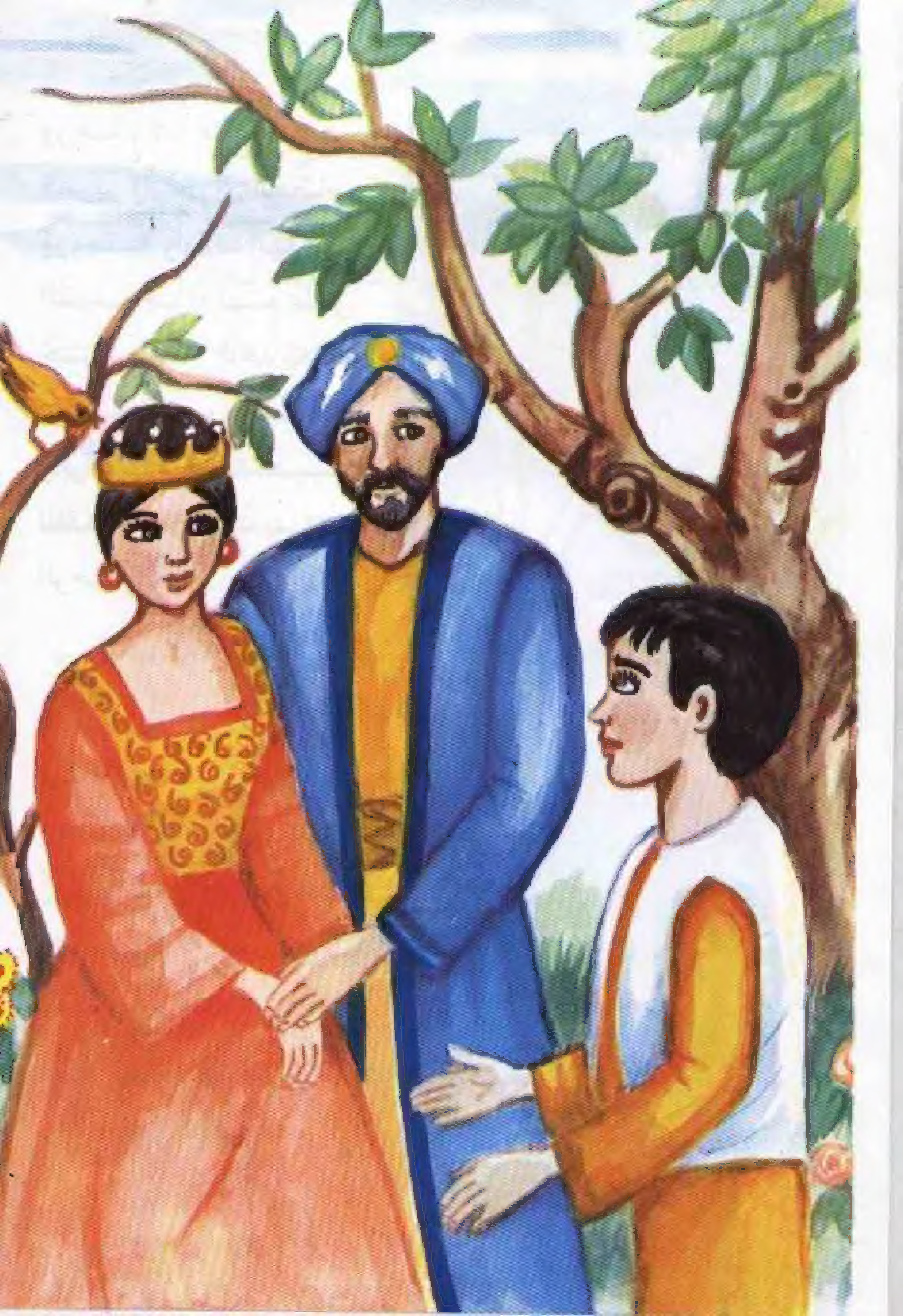
فـألقى الغـلام بنفسـه بـين ذراعــى والديــه ليقبلــهما. ثــم دخـل معـهما إلى القصـر حيـث ارتـدى أحلـى وأفخـر الثيــاب الّتــــى تَليــــقُ بســـلوكه الشُّـــجَاع الطّيــــب.. وبعـــد أنْ رَقّ قلبـهُ وامتـلأ بْحـبِ النَّـاس نَصبـةُ والـدُهُ مَلكـا علـى البـلادِ فوضع تاج العــرش علـى رأسِـهِ.

وهكَـذا أصَبـحَ الغُـلامُ ابـنُ النجـم الكَبـير حاكمًـا علــى هَــذِه المدِينةِ الّتِى تُطـلُّ عَلَـى شـاطىءِ النـهر. فحَكـمَ بكـل عدالـةٍ



ورحمةٍ، كَما عَاقبَ السَّاحرَ الشريرَ وأرسل إلى الحطَّابِ وزوجتـه وأولاده الهدايـا الثمينـة جزاءً لهم علـى حُسن مُعاملته. فَأخذ يعلـمُ مملكتـه الحـب والتَّسـامحَ والرحمـةَ، كمـا أحسـنَ للفقـراءِ فعرفـتْ بـلادُه الرخاءَ والسَّلامَ.

* * *



أسئلة على القصة

١ - لماذا سُمىَ بطلُ القصةِ باسم «ابنِ النّجِم الكَبيرِ» ؟

٢ - صِفْ أخلاقَ كُلٍّ مَن الحطَّابَيْن ؟

٣ - لماذا قال الحَطَّاب لزوجته : «إنَّ البيتَ الذى يعيشُ فيهِ قلبٌ قاسٍ لابد أنْ يدخَله الهواءُ البارد» وما تأثيرُ هذِه الجملةِ علَى زوُجةِ الحَطَّابِ ؟

٤ - هل أخلاقُ ابنُ النَّجْم الكبيرِ كانتْ تتنَاسبُ مَع جمَالِ وجْهه ؟ ولمَاذَا ؟

٥ - ما هِي الدرُوسُ التِى كانَ يحَاول الحطَّابَ أن يعلمَهَا لابُنِ النُجِم الكبيرِ؟

٦ - كيفَ عامَل ابْنُ النّجِم الكبير المرأةَ العجوزَ التِى كانْت تجلِسُ تحتَ الشَجَرةِ ؟ ومَنْ أنقذهَا مِنهُ ؟

٧ - لمَاذَا صرخَت المرأةُ العجُوُز ووقَعتْ علَى الأرْضِ مْغِشيًّا عليهَا؟ وكيف تعرَّفتْ على ابنهَا؟

٨ - كيفَ قابَل ابْنُ النَّجِم الكبير المرأةَ العجوزَ حِين عرَف أنَّهَا أمُّه بعدَ أنْ قصَّت عليهِ قصتَهَا ؟

٩ - ما هِيَ المواقفُ التي أدَّتْ إلى تغيير هيئة ابْنِ النَّجِمِ الكبـير إلى هْيئَةِ ضفْدَع؟

١٠- مَا هِيَ المواقِفُ التي أعَادَتْ إلى ابْـنِ النَّجـم الكَبـير هيْئَتـه الجَميلَة ؟

١١- مَا هي الدرُوس المستفادَةُ مِن هَذِه القصَّةِ ؟

☆★☆